على الغلاف

أنا ابن فلسطين ما هتفتُ غيرها

محمود فقيه

«آه يا حكام العرب
يا رب يصين جرب
عم بيصفوا القضية
بالحلول السلمية
قولوا للرؤسا قولوا
قولوا لكل الملوك
هالثورة ما بتنصفّى
الجماهير على صفا»

(أول معزفي بالأخ أنيس النقاش كان يهتف بهذه الأغنية في مسيرة طلابية حاشدة استنكاراً للهجوم الذي شنته قوات النظام الأردني بهدف تصفية الوجود الفلسطيني المسلح ومنعه من ممارسة عمله الفدائي على حدود فلسطين المحتلة، وذلك عام 1970، في ما عرف يومذاك بحوادث أيلول الأسود).

لست في وارد كتابة سيرة ذاتية للفقيد الكبير، فقد تكلم هو عن تاريخه وكتب عنه في أكثر من مكان. بل أريد أن أتكلم عن بعض الصفات التي كان يتمتع بها هذا النوع من الثوار الذين يستحقون الدخول في ضمائر الشعوب، وخاصة الأجيال الشابة التي تتوق إلى العمل الجهادي والتغييري والنهضوي.

1- كان أنيس عاشقاً ذاب في عشقه حتى غاب وشرب الكأس حتى الثمالة، بلا تردد ولا مواربة، بعكس ما يفعل أنصاف وأرباع العاشقين، فلا تدري بين يدي الحديث عنه عما تتكلم، أعن العاشق أم عن المعشوق أم عن العشق الذي يمارسه العاشقون من دون تجشم جهد التفسير. فلم يكن أنيس ممن «يضعون رجلاً في البور ورجلاً في الفلاحة»، كما ورد في أمثال الفلاحين. ولم يرتد البزة العسكرية وهو يخبئ الطقم والكرافات في مكان ما وراء خط القتال. ولم يكن من ثوريي المقاهي والمكاتب وأروقة المؤتمرات، بل عاش قضية النضال والثورة بكل جسده وفكره وروحه. كان لا يستطيع أن يجلس مستكيناً في صفه الدراسي في مدرسة المقاصد، بينما هناك حرب تشنها القوات الأسرائيلية الغازية على الجبهات العربية في حزيران 1967، فقفز عن سور المدرسة العالي وذهب الى منزله وأحضر جهاز ترانزيستور ليتابع مسار المعركة. لم يكن يكتفي بأن هناك أحزاباً كبيرة وتنظيمات فلسطينية قادرة على القيام بالواجب الوطني، بل أقنع قيادة «فتح» بتشكيل ما سُمّي يومها «تنظيم أنصار الثورة الفلسطينية» على امتداد الساحة الطلابية، للقيام بواجب الدفاع عن حق الثورة الفلسطينية في العمل من الأراضي اللبنانية.

ثم في مرحلة لاحقة، أي بعد الاجتياح الاسرائيلي عام 1978، أسهم في تشكيل ما سمّي «حركة لبنان العربي» و«قوات الأرض»، بمشاركة مجموعات من المناطق اللبنانية كافة، سعياً لتاسيس إطار لمقاومة لبنانية مسلحة غير خاضعة لتوازنات القوى الاقليمية والدولية التي كانت تكبّل حركة الاحزاب اللبنانية والتنظيمات الفلسطينية بمرجعياتها ومصادر تمويلها المختلفة. لكن هذه المحاولة فشلت، لعجز الراعي الفلسطيني عن مواكبتها حتى النهاية، ورضوخه لضغوط شتى، كان من بينها ضغوط السفارة السوفياتية. وقد كان لهذه التجربة أثر مهم في إنضاج وعي مقاوم لدى المئات من الشباب المدرب الذي أسهم في مرحلة لاحقة بدور كبير عبر التحاقه بالحركات المقاومة التي تشكلت بعد الاجتياح الاسرائيلي عام 1982، حاملين تجربتهم وأسلحتهم التي خبّأوها في بيوت ومخابئ في الجنوب المحتل. ولا يجوز التغاضي عن التجربة السياسية المميزة التي خاضتها هذه المجموعة التي كان أنيس أساسياً في تشكيلها، والتي كانت توأماً لما كان يسمّى الكتيبة الطلابية لحركة فتح. فهي حملت إرثاً معادياً للحرب الأهلية، داعياً الى السعي بكل قوة لإيقافها ومنع تمدّدها، والتركيز على قتال العدو الصهيوني. وقد كان مؤيداً للسياسة التي كان ينتهجها الإمام موسى الصدر الذي بذل اقصى جهده وصولاً الى إعلان الاضراب عن الطعام لمحاولة الضغط على الأفرقاء على جانبي خطوط التماس القتالي العملي والنفسي المتخيل، لوقف الاقتتال والحد من الطموحات غير العقلانية، التي ثبت أنها كانت جزءاً من توجهات إقليمية ودولية بعيدة عن الشعارات المطروحة. فكانت العلاقة مع حركة أمل بشخص الشهيد مصطفى شمران الذي كان مطّلعاً على ظروف النهضة الاسلامية في إيران ومواكباً لها.

ومن موقعه الباحث دائماً عن اشتباك مع العدو الصهيوني، سعى الى تأسيس إطار تنظيمي سريّ في قرى الشريط اللبناني المحاذي للحدود الفلسطينية. لكنّ الأحداث المتسارعة التي شهدتها منطقة الشريط بعد عام 1976 حدّت من تطور هذا المشروع.

لم يكن يوماً أنيس منفصلاً عن قضية النضال والعمل النضالي الجاد الذي انخرط فيه حتى النخاع، منذ اليوم الأول الذي تعرفنا عليه فيه، حتى اليوم الذي فارق فيه الحياة الدنيا معلناً استحقاقيته لإجازة طويلة.

2- ليس بإمكانك التعامل مع هذا النوع من الرجال الذي ينتمي اليه أنيس النقاش، بناءً على خلفية نمطية تم تشكيلها عنه، وبناءً على المعلومات الدينية أوالطائفية أو العرقية أو الجهوية، كذلك بناءً على انتماءاته الحزبية والتنظيمية، أو بناءً على علاقته بشخصية ما أو قوة سياسية ما. هو دائماً الانسان القلق الذي يبحث عن الحقيقة والصدق ووضوح الهدف تحت سقف شديد الارتفاع، يعبر فيه الى آفاق واسعة من الخيال الثوري والطموح المتدفق لتحقيق الانجاز. فهو المسلم الباحث عن سبل تامين انخراط المسيحيين في العمل الثوري، وهو السنّي المدافع عن الشيعة والداعي الى تشكيل جهاديتين شيعية وسنية لمواجهة الهجمة الاستعمارية. وهو اللبناني الذي يقاتل في فلسطين، والفلسطيني الذي يعلم أن لا إمكانية لتحريرها من دون الأمة. وهو العربي الناصري الذي وجد ضالته في الامام الخميني وفي إيران الاسلامية. وهو العربي الذي طرح فكرة التشبيك بين عناصر الأمة المختلفة، بين العرب والإيرانيين والأتراك، خاصة في منطقة المشرق، لأن لا مستقبل آمناً لبلادنا من دون شبكة أمان إقليمية يجد فيها جميع الأطراف من أهل المنطقة مصالحهم. وهو المقاوم الذي لا يستكين لاعتبار محور المقاومة منتصراً، وبالتالي لا يقبل بأنه «قد كفى الله المؤمنين شر القتال»، بل يريد من جميع الأفراد، على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، والمؤسسات على تنوّعها، أن يسهموا، كل على قدره ومن موقعه، في صناعة الانتصار وتمتينه. وهو لا يرى حرجاً في توجيه النقد الى الجميع، معتبراً أن عملية النقد البنّاء هي الأداة الناجعة في خدمة الجهد العام الذي تخوضه الأمة.

3- كان أنيس الاستراتيجي الواضح الذي لا يضيّع الموقف الاستراتيجي خدمة لتكتيكات شعبوية أو مكاسب صغيرة لا تغني ولا تسمن. بل يرى الصورة الواسعة للمعركة بكل خطوطها وتفاصيلها، ويدرك أين تقع اتجاهاتها الحاسمة، وكيف يمكن صناعة اللحظة التاريخية لتحقيق الانتصار التاريخي. ولكن لا يعتبر أن المعارك الصغيرة غير ذات أهمية، ويمكن خسارتها لأسباب واهية، بل يعتبر أن التفاصيل الصغيرة قد تحمل معاني كبيرة، وأن المعارك الصغيرة تراكم هزائم كبيرة اذا لم تجر إدارتها بعقل تكتيكي سليم.

4- اعتبر الفقيد الكبير أن لمعركة تحرير فلسطين القول الفصل في عملية نهوض الأمة واكتسابها وزنها الاستراتيجي بين الأمم. واذا لم تجهز العدة والعتاد لهذه العملية الكبيرة والصعبة والشاقة، فلا يمكن لها أن تنظر، أولاً الى نفسها بعين الرضى، وثانياً هي لا يمكنها أن تخرج طاقاتها الدفينة والخير الرابض في أعماق نفوس أبنائها من دون الدخول في أتونها، والتي لا يمكن الولوج في معركة النهوض الشامل والتنمية والتصنيع وتحقيق الاستقلال عن النفوذ الغربي الا في خضمها. وهذه المعركة التي يجب مواصلتها حتى النصر، والتي يمكن أن تتعرف الأمة الى نفسها من خلالها، وتنشئ محاور تحالفاتها وتحدد جبهات أعدائها ودرجات عدائهم. لذلك كان التحاقه بصفوف حركة التحرير الوطني الفلسطيني، «فتح»، التي كانت تؤكد أدبياتها المبكرة شعارات مثل «فتح ديمومة الثورة والعاصفة شعلة الكفاح المسلح»، أو «فتح طليعة الثورة العربية الشاملة». لذلك، فقد كان الانتماء الى «فتح» يعني الانتماء الى عنصر التثوير الذي خلفته الهزيمة داخل الوجدان العربي. وهو انتماء الى قوة شعبية عميقة الجذور داخل الشعب الفلسطيني، يحظى برعاية محور المقاومة الناصرية في القاهرة. وهو الذي تحول بعد معركة الكرامة في عام 1968 الى بركان من الثورة والتحدي. من هنا فقد كان الانتماء الى «فتح» دخولاً مباشراً في معركة نهوض الأمة. وقد كان شخصياً على علاقة مميزة مع الرموز النضالية كافة في حركة «فتح»، الذين سبقوه بمعظمهم الى الشهادة في سبيل قضيتهم العادلة. وكان لأنيس رصيد نضالي في حركة «فتح» أسهم من خلاله في تمتين العلاقات مع الثورة الاسلامية الناهضة منذ بداية انتصارها، ثم كذلك في مرحلة الانتفاضة الفلسطينية الثانية داخل الأرض المحتلة.

5- لقد أدرك أنيس باكراً أهمية وضع كل طاقات الأمة في معركة التحرير وتحقيق الاستقلال الشامل، فكانت علاقته بالشهيد محمد صالح الحسيني، المبكرة منذ أواسط السبعينيات من القرن الماضي، الذي تعرف من خلاله الى أهمية إيران داخل الأمة وما تختزنه من قوى ثورية فاعلة وقادرة على إحداث تغيير جذري للعلاقة بين القوى، إذا ما قدّر لثورتها النصر. وقد كانت لحظة انتصار الثورة الاسلامية عام 1979 لحظة فرح عارم، تأكد فيها لكل الوطنيين أن عصراً جديداً قد بدأ، فسارع الى الالتحاق بهذا المشروع الثوري وقدم التضحيات الكبيرة أمام هذا الانتماء.

رحمك الله أيها المجاهد الكبير، وأحسن مثواك. نشهد أنك أبليت بلاءً حسناً، وكرّست حياتك في سبيل مبادئ وقيم الحق والعدل والحرية... ونسأل الله أن يحتسبك شهيداً إنه سميع مجيب.

وداعاً أبا المزن

لم أوّبّن أحداً من قبل، وأنا العبد الفقير. فما لي والقولان. لذا فليُعفِني الله، وأنا ها هنا أقف لأقول شيئاً في عملاق. نعم عملاق. لقد عاش محلّقاً عالياً شامخاً طائراً في آفاق المعمورة كلّها.

نعم، لقد كان عالياً. لقد كان عالياً بعشقه، وهو الوِلِه البشوش، برشاقة روحه وأتْرانها. مبهور بفنون وكذلك يُبهرك بفنون.

ربما إني أفتقد المتنبي الآن. ليته ها هنا ليسعفني لأرثيك يا أبا المزن.

سأفتقدك وأندب نفسي، لأني لم أدرك قبل رحيلك تلك المعاني والقيم والنماذج التي تجلّت بك.

ليتني قلت لك وداعاً وطبعت قبلة على جبهتك الوضاءة.

من عرف أنيس نقاش حقاً ولم يعشقه...لا يعرف العشق.

فقدناك أخاً حبيباً وستبقى لنا أستاذاً وملهماً وفخراً.

حسين الكاظمي - الكويت

(مروان طحطح)

في الواجهة

الحريري - باسيل: معيار 2016 أو لا حكومة

بعد السجال المتبادل بينه ورئيس الجمهورية ميشال عون قبل اسبوعين، أتى السجال الأحدث مع النائب جبران باسيل، مباشرة وبالواسطة، كي ينبئ بتعذّر تمكّن الرئيس المكلف سعد الحريري من تأليف حكومته في مدى قريب

نقولا ناصيف

على التوالي أبرزت مواقف الرئيس المكلف سعد الحريري في 14 شباط، ثم رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل في 21 شباط، أن من الصعوبة بمكان توقّع إبصار حكومة على النحو الذي يتصوّره كل منهما لها. ليس اشتباكهما الاخير الا صورة مكمّلة لذاك الدائر في قصر بعبدا بين رئيس الجمهورية ميشال عون والحريري على المادتين 53 و64 من الدستور، والنطاق المحدد لكليهما في مراحل تأليف الحكومة. الواضح ان الاشتباكين المتوازيين، الدستوري والسياسي، لا يقتصران على تأليف حكومة اختصاصيين لمهمة محددة في ستة اشهر كما يقول الرئيس المكلف، بل يتجاوزانها الى سبل ادارة السنتين الاخيرتين من العهد، بل على النحو ادق، الى المرحلة التالية لانتهاء الولاية كي يكونا الحاضرين الفعليين على أرضها. وقد يحمل هذا التوقّع البعض على القول ان الاشتباك الدستوري واجهة للاشتباك السياسي ليس الا. الاهم المعلوم في ذلك، الذي لا يقتصر على عون وباسيل، ان لا يسمح للحريري بأن يكون «السياسي» الوحيد في حكومة اختصاصيين في الحقبة الغامضة المقبلة.

ليس خافياً أن كلاً من الحريري وباسيل يعوّل على ظهير داخلي حديدي يدعمه في المواجهة قبالة الآخر. المفارقة الاولى ان هذا الظهير هو الثنائي الشيعي: الرئيس نبيه برّي ظهير الرئيس المكلف، وحزب الله ظهير رئيس التيار الوطني الحر. بذلك تنشأ مفارقة ثانية هي ان الثنائي يدير توازن الصراع القائم ما بين الرجلين دونما تغليب احدهما على الآخر، ودونما ان يتسبب هذا «التواطؤ» الشيعي، الايجابي في ظاهره، في خلاف ما بين برّي والحزب. وفرأ المساكنة ما بين الطرفين، وتركا للاشتباك الدستوري إسرار الوقت. فيما عُدّت مبادرة رئيس البرلمان أنها تضمر تأييداً للحريري، بأن وقوف الامين العام للحزب السيد حسن نصر الله في كلمته الاخيرة الى جانب رئيس الجمهورية.

مع أنه مصر على تأليف حكومته كما يتصوّرها هو وبشروطه، لا يُحسد الرئيس المكلف على ما هو عليه الآن، من غير أن يُعدّ مهزوماً بعد في معركة قد تكون طويلة. منذ تكليفه يكون انقضى حتى أمس اربعة اشهر. مدة اعتاد الحريري أرقاماً مشابهة لها. حكومته الاولى (2009) احتاجت الى 135 يوماً، والثانية (2016) الى 45 يوماً، والثالثة (2019) الى ثمانية اشهر وستة ايام. ومن غير المستبعد ان تسجل رابعة حكوماته الرقم القياسي في ظل العناد المتبادل على شروطه، كما شروط رئيس الجمهورية ورئيس التيار الوطني الحر.

في ظاهر ما يحدث الآن أن الخلاف الناشب هو على التوزير المسيحي، مع ما يتفرّع منه، المرتبط بحصتي رئيس الجمهورية والرئيس المكلف ومَن يسمّي الوزراء المسيحيين ومَن يوافق أو لا يوافق، وتوزّعهما الحقائب. أفصح رئيس الجمهورية عن المشكلة بداية، ثم جهر بها ضمناً في خطاب 14 شباط، قبل أن ينضم الى الحملة باسيل في 21 شباط تحت عنوان عريض، ربما لم يكن يحتاج الى مثل هذا الاتساع، هو حقوق المسيحيين.

منذ مطلع العهد، في الحكومتين الاولى واللتين تترأسهما الحريري، كان هذا الموضوع في صلب خلافه مع باسيل من غير أن يطفو الى السطح، بعدما حجبته التسوية الرئاسية التي أبرماها.

في حكومة 2016، لم يسع الحريري الحصول على وزير مسيحي ثان (غطاس خوري بعد جان اوغاسبيان) الا بعد تخليه عن مقعد سنّي انتقل الى التيار الوطني الحر (طارق الخطيب). حينذاك توزّعت المقاعد المسيحية الـ13 الاخرى على التيار الوطني الحر (9 وزراء) وحزب القوات اللبنانية (3 وزراء) والمردة (وزير واحد). في الحكومة الثانية عام 2019 حصل التيار على الحصة الكبرى (9 وزراء) وتقاسم الافرقاء المسيحيون التوزير المسيحي المتبقي (4 وزراء لحزب القوات اللبنانية ووزير للمردة). اما المقعد الاخير، وكان ارثوذكسياً حلت فيه فيوليت خير الله، فكانت له قصة: طلب الحريري مقعداً مسيحياً في مقابل تنازله عن مقعد سنّي ذهب الى حسن مراد ممثل اللقاء التشاوري السنّي المناوئ لرئيس تيار المستقبل. على صورة ما حدث في مقايضة 2016، دار التفاوض: مقعد في مقابل آخر. إصرار الحريري على خير الله وزيرة مسيحية يعوّض ما خسره - وكان هذا الذي خسره

> حكومة ما تبقى من العهد لا حكومة اختصاصيين

حتمياً تحت وطأة ضغوط حزب الله الداعم للقاء التشاوري - حتّم عقد اجتماع بينه وباسيل في حضور المرشحة للتوزير وزوجها الوزير السابق محمد الصفدي انتهى الى اتفاق مفاده الآتي: توزّر خير الله في حصة الرئيس المكلف في مقعد ارثوذكسي على أن تُحسب في الوقت نفسه في حصة التيار الوطني الحر، بما يعني انها تمثل تقاطعاً ما بين الاثنين. في حال نشوء خلاف في مجلس الوزراء ما بين كتلتي المستقبل والتيار الوطني الحر - وتعهد الحريري وباسيل أن لا يختلفا - تصوّت الى جانب الثاني. لذا قيل حينذاك إن كتلة باسيل في حكومة الحريري ضمّت اكثر من الثلث+1. عُدّت مؤلفة من 11 وزيراً و2/1: 9 وزراء مسيحيين لباسيل + مراد + صالح غريب + خير الله. أما المقاعد المسيحية الخمسة الاخرى فذهبت الى حزب القوات اللبنانية (4 وزراء) والمردة (وزير واحد).

في ما جرى ابان تأليف حكومة 2019، تساءل الحريري في مفاوضاته مع حليفه اللدود وقتذاك باسيل: أنا رئيس حكومة لبنان، ألا يسعني تسمية وزير مسيحي واحد؟ كان والدي يسمّي اكثر من وزير مسيحي.

أجيب: بلى، في مقابل التخلي عن مقعد سنّي.

احتج أيضاً على حصول حزب القوات اللبنانية على اربعة وزراء، فيما يُحرَم هو من وزير مسيحي مجاناً.

صحّت الوقائع تلك في خلال تأليف حكومة وحدة وطنية، تشارك فيها الكتل النيابية تبعاً لأحجامها. وهو ما حدث مع حكومتي 2016 و2019. على ان ما يستعيدها الآن، اعتقاد رئيس الجمهورية، كما رئيس التيار الوطني الحر، أن ثمة قاعدة ثُبّتت في مطلع العهد، متجاوزة سلفاً أحجام الحكومات التالية في العهد الذي سيرافقه طوال مدته الحريري كما أرست التسوية الرئاسية. قالت القاعدة تلك، وطُبّقت بانتظام في الحكومتين الاولَيين بموافقة الحريري رئيسهما ورضاه بدليل إبصارهما النور تبعاً للمتفق عليه: يُسمّي المسيحيون وزراءهم مثلما يُسمّي الافرقاء الآخرون وزراءهم وفق الأحجام السياسية القائمة، مع تأكيد حصة رئيس الجمهورية. في ظل حكومة اختصاصيين على نحو ما يدور الآن، لم يتغيّر سوى القليل مع ثبات القاعدة في حسبان رئيس الجمهورية على الأقل: ما دام حزبا الكتائب والقوات اللبنانية والتيار الوطني الحر والمسيحيون المستقلون لن يتمثلوا في حكومة اختصاصيين، لرئيس الجمهورية - صاحب التوقيع الدستوري الاخير - أن يسمّي وزراء الطائفة، الى الحصة المعروفة المحددة للمردة. في اجتماعاته مع عون، حمل الحريري لوائح في الحصة المسيحية التي يريدها لنفسه كونه هو الذي يؤلف حكومة اختصاصيين لا مكان فيها لوزراء حزبيين او سياسيين: مرة يريد خمسة وزراء - اكثر من نصف الحصة - ومرة يريد الوزراء التسعة جميعهم، ومرة هو الذي يسمّي لرئيس الجمهورية وزراءه.

يحدث ذلك كله بعد حصول الخلل الاول والاهم والأفظع في المبادرة الفرنسية، اذ يجرّدها من مغزاها الفعلي: حكومة اختصاصيين يترأسها غير اختصاصي بشهادة التدهور المريع في شركاته ونجاحاته الاقتصادية والمالية، ورئيس حزب هو ايضاً رئيس كتلة نيابية كبيرة وأحد الذين اشترط الرئيس ايمانويل ماكرون إبعادهم عنها، ومسؤول كبير هو ونظراؤه - وماضي المدرسة التي يتسلح بها - في مقاعد الصف الأول المتهمون بانهيار الدولة وتفشّي الفساد فيها وتخريبها وإفلاسها.

ظهيران شيعيان يحميان توازن اشتباك الحريري - باسيل: برّي للاول وحزب الله للثاني (هيثم الموسوي)